الدلالة الصوتية في اللغة العربية
دراسة تطبيقية على بعض آيات القرآن

د. عائشة ميرغني عبدالرحيم سليمان
أستاذ علم اللغة المساعد بجامعة الملك خالد بأبها

المقدمة

الحمد لله الذي جعل اختلاف الألسنة آية من آياته في خلقه، والصلاة والسلام على النبي العربي الأمي، خير من نطق بالضاد، القائل: "ألا وإن العربية ليست لكم بأبٍ ولا أمٍ، إنما هي لسان فمن تكلم بالعربية فهو عربي".

فإن علم الدلالة، من العلوم التي تندرج، تحت مباحث علم اللغة الحديث، ودلالة الكلمة لها من القدرة على التطور، بقدر تطور البشر أنفسهم. وأردت أن أدلو بدلوي في علم الدلالة، طالبة العون والمدد من الله تعالى. وقد اتخذت عنواناً لبحثي: "الدلالة الصوتية وجرس الكلمات – دراسة تطبيقية على بعض آيات القرآن".

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

- إظهار دلالة الكلمات بأصواتها.
- البحث في فرع من فروع علم اللغة الحديث.
- فهم القرآن الكريم، من خلال علم الدلالة.

منهج البحث:

أتبعت المنهج الوصفي التحليلي.

هيكل البحث:

قسمت البحث إلى ثلاثة مباحث –

المبحث الأول: التعريف بعلم الدلالة وعلاقته بفروع اللغة الأخرى.

المبحث الثاني: الدلالة الصوتية وجرس الكلمات في اللغة العربية.

المبحث الثالث: دلالة الأصوات في القرآن الكريم.

الخاتمة: ختمت البحث ببعض النتائج التي توصلت إليه من الدراسة، ثم بعض التوصيات التي أرى أنها تخدم البحوث. ثم أعقبتها بقائمة من المصادر والمراجع التي أستقيت منها المادة العلمية.

المبحث الأول

التعريف بعلم الدلالة وعلاقته بفروع اللغة الأخرى

التعريف بعلم الدلالة: تدخل كلمة دلالة تحت الجذر "د ل ل"، ودليل فعيل بمعنى فاعل، لأن الدليل هو الدال، كعالم وعليم، وقادر وقدير. ودله على الطريق يدله دلالة " بفتح الدلالة أو كسرها أو ضمها، والفتح أعلى"[1].

والدلالة هي المعنى عند بعض اللغويين، لأن كل دلالة تتضمن معنى. والدلالة أعم من المعنى أي أن علاقة الدلالة والمعنى، دلالة العام والخاص. لأن الدلالة تشمل الرموز اللغوية وغير اللغوية، من أدوات الاتصال المختلفة، كالإشارات، والرموز، والعلامات.

الدّلالة لغةً: الإرشاد إلى الشّيء والإبانة عنه، واشتُقّت هذه الكلمة بالأصل من الفعل (دَلَلَ) بمعنى استيضاح الأمر بدليل نفهمه، والدّليل: ما يُستَدَلّ به، فدّله على الشّارع؛ أيّ يدلّه دِلالة ودَلالة، و"الدالة" ما تدل به على حميمك، ودله عليه دلالة: سدده إليه، وقد دلت تدل، والدال كالهدى[2].

أمّا اصطلاحاً فهو العِلم الذي يبحث في "المعنى"، ونظرياته مع كيفيّة جعل المُفردات ذات معنى"[3].

والفرق بين الدلالة والأمارة، الأمارة أحد وجوه الدلالة، على سبيل التقريب والملابسة، بوصفها علامة يلزم العلم بها، الظن بوجود المدلول، كالغيم بالنسبة للمطر، فإنه يلزم من العلم به، الظن بوجود المطر.

والفرق بين الأمارة والدلالة، يتحدد بكون الدلالة، طريق إلى العلم والمعرفة، بخلاف الأمارة التي هي طريق إلى المظنة، وليس العلم"[4].

والدلالة تستمد شرعيتها باتفاق أهل اللغة، وكثرة استعمالهم للرمز اللغوي بينه وبين نفسه على شيء يضعه أمارة ودلالة يعرفها هو وحده، أما الدلالة اللغوية فليست فردية؛ بمعنى أن الدلالة اللغوية ليست فردية كما الحال في الأمارة، أو الرمز، إذ قد

---

[1] / ابن منظور ، لسان العرب ، ص394 .

[2] / الفيروز أبدادي ، القاموس المحيط ، 377/3 .

[3] / أحمد مختار عمر (1998)، علم الدلالة ، ط5 القاهرة ، دار عالم الكتب ، ص11

[4] / مجلة الفيصل ،2012م ، العدد 438 .

يصطلح الفرد؛ فلا يمكن التصرف فيها، أو تغييرها برمز آخر، لتبقى دالة على المفهوم، أو الشيء في العالم الخارجي"[1].

فدلالة كلمة "طفل" مثلاً، إنما تدل على شيء له صفاته، وأبعاده التي ترتسم في ذهن السامع، متى ما سمع بكلمة طفل، ولا يمكن أن يتغير إلى "لطف" مثلاً ليبقى دالاً على المعنى الأول في حين أن الرمز بالإشارة، أو الأمارة، يمكن أن يتغي.

الدلالة اللغوية: هناك دلالة للفظ اللغوي متعددة، ودلالة غير متعددة، فتقسم اللفظ العام، إلى عام بمعناه ولفظه، ولفظ عام بمعناه فقط يشير إلى نسبة الدلالة على العموم في الألفاظ.

كما يجوز تخصيص العام بالدليل كقوله تعالى: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ فذات الخالق خارجة عن عموم كل شيء.

وقرائن الدلالة اللغوية، تنقسم إلى:

لفظية "السياق اللغوي"

غير لفظية "تخصيص الدلالة"

وقد قسموا القرائن اللفظية إلى نوعين: متصلة ومنفصلة.

أما القرائن اللفظية المتصلة، فقد تكون مستقلة، لكنها متصلة في سياق الكلام من عموم كقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ فاللفظ العام كامن في "من" بوصفه اسم شرط، وأكثر أسماء الشرط دالة على العموم لاستغراقها العقلاء وغيرهم. وجملة "من كان مريضاً أو على سفر" تخرج المريض والمسافر من الحكم العام.

وفي النحو وسائل تخصيص منها حروف العطف، فإن لها دور في تخصيص الدلالة، وهناك تخصيص بالسببية مثل المفعول لأجله، وهناك تخصيص بالإخراجية كالاستثناء، منه قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (كلكم يدخل الجنة إلا من أبى) ومنها التخصيص بالبدلية كقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ﴾.

ومنها تخصيص بالوصفية كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ وهناك تخصيص بالحالية كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾

[1] / سيد مصطفى أبو غالب ، الدلالة اللغوية ، الألوكة تاريخ الإضافة 2016/11/26م .

ومنه التخصيص بالظرفية – مكانية كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾، أو زمانية مثل قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾. وقد يكون التخصيص بالشرطية كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾.

أما القرائن غير اللفظية، فيدخل ضمنها سياق الحال أو المقام، بما يشمله هذا السياق من عناصر الثقافة والظواهر الاجتماعية، كالأعراف، والعادات والتقاليد"[1].

قسم علماء الأصول الأعراف إلى:

أ/ لغوية وهي التي تعمل بالتقادم على تطور الدلالة، إما بتخصيصها، وتضييق دوائرها الدلالية، كلفظ "الحج" إذ كان معناها التوجه والقصد إلى أي مكان. ثم تخصص لتدل على التوجه إلى بيت الله الحرام. ولفظ "عقيلة" أطلق أولاً على المرأة الكريمة، ثم توسعت دلالته فأطلق على الكرائم من الإبل، ثم درر البحر، ثم كرائم مال الإنسان، ثم الزوجة. والعبرة عند علماء الأصول، بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب. وإن الدلالة طريق إلى العلم والمعرفة، وأنها تطلب، أو تفهم في جهتها، دون الحاجة إلى استدلال. لأن الألفاظ إنما تجري في السمع مجرى الأشخاص من البصر"[2].

إن القيمة الدلالية للعنصر اللغوي؛ حقيقةً أو مجازاً، لا يمكن الوقوف على حدودها الدلالية كاملة، إلا بتقابله مع عناصر اللغة الأخرى، داخل السياق المعين. لأن هذا التقابل، هو الذي يعمل على تحديد الدلالة تحديداً بيناً.

ومن هنا قرر المحدثون: "أن كل عنصر من عناصر اللغة، تتحدد قيمته بتقابله مع جميع العناصر الأخرى"[3].

أنواع الدّلالات اللغويّة:

هُناك العديد من الأنواع للدّلالة عند أهل اللغة، وبرز هذا التنوع نتيجة الاختلاف في الأمور التي تتعلّق في كيفيّة تشكيل معنى الكلمة، فللكلمة الواحدة أبعاد مُختلفة من النّاحية الدّلاليّة في العِبارة الواحدة، وهذا ما دعا عُلماء اللّغة إلى تقسيمها، وهي ستة أنواع"[4].

---

[1] / بليغ حمدي إسماعيل، القرائن اللفظية في القرآن الكريم، 2017/6/5م، الشبكة العالمية.

[2] / ابن الأثير د ؛ ت ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، ج1 ص181

[3] / دي سوسير ، دروس في الألسنية العامة ، ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر ، 1986م ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ص 175

[4] / السيد العربي يوسف ، الدلالة وعلم الدلالة (المفهوم والمجال والأنواع) ، ص 3و4 .

الدّلالة المعجميّة:

هي الدّلالة المُتعلّقة بتعدُّد المعاني للمُفردة الواحدة، وذلك بناءً على سياق الكلام اللّغويّ التي تُوجد فيه، وهذه الدّلالة أحد أهمّ الأسباب في وُجود عدد هائل من المعاني في المُعجم العربي"[1].

الدلالة الصوتية:

هي الدّلالة التي تعتمد على القيمة الصّوتيّة للحرف الواحد وما يُعبّر عنه، وذَكَر ابن جني في كتابه "الخصائص" العديد من الأمثلة عليها منها الفعلين "قَضَم- خَضَم "، فالفعل الأول يُقصدُ به: أكل الشّيء اليابس، أمّا الثّاني فهو: أكل الشّيء الرّطب، وقد أدّى هذا الاختلاف في وُجود حرفيّ "القاف-الخاء" في معنى الفعلين؛ لما يراه العرب في حرف الخاء، أنّه حرف "رخو"، وأنّ حرف القاف حرف "صلب"، وهذا ما يؤكّده كتاب "الخصائص" الذي يقول فيه: "إنّ العرب كانوا يأخذون مسموع الأصوات إلى محسوس الأحداث، كما يُذكر في الكتاب نفسه أنّ هذا النّوع من الدّلالات اللّغويّة، تشتهر في الحُروف التي تُعبّر عن الأصوات الطّبيعيّة مِثل:(الخرير، والحفيف، والعواء، كذلك الصّرير، والقهقهة، وغيرها)[2].

الدّلالة السّياقيّة:

هي الدّلالة التي يكون فيها المعنى المقصود والمفهوم واحد، فالمُتحدث يقصد معنى، والمُتلقّي يفهمه ذاته من خلال صيغة الكلام، كما ذَكَر تمام حسّان في كتابه "اللغة العربية - معناها ومبناها -" أنّ لهذه الدّلالة مفهوماً يُسمّى بـ "المَقام"، وذلك انطلاقاً من أنّ "لكلّ مقام مقال"، كما أشار كذلك إلى أنّ أهل النّحو من العرب القُدماء كانوا سبّاقين إلى هذا المفهوم، وأنّه ليس "مالينوفسكي" الذي نُسب إليه إيجاد المُصطلح المعروف " سياق الموقف " بالإنجليزية "Contact of situation".

[1] / نادية معتاقي (2015) ، إسهام الدارسين العرب المحدثين في إرساء أسس علم الدلالة، الجزائر: جامعة مولود معمري-تيزي وزو-، ص 31-33 .

[2] / ابن جني ، الخصائص ،544/1

فبرأي تمام حسّان، لم يعرف مالينوفسكي أنّ هذا المُصطلح سُبَق الحديث عنه قبله بقرون عديدة، وأنّ العرب كتبوا فيه كُتباً، لم تلقَ العناية الكافية في الدّعاية، على المستوى العالميّ كما أُتيحت له، وهذا ما جعل المُصطلح مرتبط به[1].

الدّلالة الاجتماعيّة:

هي الدّلالة التي تأخذ الحياة الإنسانيّة وشُعورها بعين الاعتبار، في تعيين المعنى المُراد، ويُمكن حصرها بأنّها تطوّر المعنى عبر الزّمن باعتبار تطوّر الإنسان. كما ذُكِر في كتاب "مفاهيم القرآن" لصاحبه السّبحانيّ بعض المعاني الجديدة التي ارتبط وُجودها بتطوّر الإنسان الاجتماعيّ، ومِثال ذلك إيراده لمعاني كلمة "الكلام" التي تطوّرت، فهو عند عوام النّاس، مجموعة من الحروف والأصوات التي تخرج من المُتكلّم، وأنّه إذا زالت الأصوات؛ ذهبت صفة الكلام عنه. ولكن مع تطوّر الإنسان اجتماعيّاً، توسّع المفهوم إلى الخُطب المنقولة، والشِّعر الذي رُوي عن فُلان، والأحاديث النّبويّة، وغيرها.. ومع عدم صدور أصوات عن هذه الأمور إلّا أنّها تُسمّى كلاماً. ويجب الإشارة إلى أنّ الدّلالة الاجتماعيّة للمُفردة تحتاج مدّة -لا بأس بها- لتتطوّر من معنى إلى آخر"[2].

الدّلالة الصّرفيّة:

هي الدّلالة التي تبحث في الأوزان والصّيَغ المُجرّدة ومعانيها المُختلفة، و يعتمد اختلاف هذه المعاني على أصل الكلمة من النّاحية النّحويّة (الإعرابيّة)، ومن النّاحية البنائيّة، وتختلف كذلك بحسب وُجودها ضمن الجملة الاسميّة، أو الفعليّة أو الحرفيّة، وهُناك العديد من المعاني المُستفادة من الصّيغ والأوزان، في عِلم الصّرف، مِثل الصّيرورة، والمُطاوعة، والطّلب، ومنها المعاني التي ترتبط بالعلاقات النّحويّة بين المُفردات، مِثل التّعدية، والتّأكيد، وغيرها.

الدّلالة النّحويّة:

هي الدّلالة التي تعتمد على موقع الكلمة المُفردة الواحدة في الجُملة، ومعناها داخلها، فيكون التّركيب الذي تواجدت فيه هذه الكلمة هو من أعطاها هذا المعنى، كما أشار عبد القاهر الجرجانيّ في كتابه (دلائل الإعجاز) أنّه: "لا يُتصوّر أن يتعلّق الفِكر بمعاني

[1] / هدى دار عيسى ، علم الدلالة في اللغة العربية ، موقع موضوع ، مشاهدة 2020/8/8م .

[2] / حميد عبد الحمزة عبيد الفتلي ، أنواع الدلالة وطرق استعمالها في كتاب مفاهيم القرآن للسبحاني، العراق: جامعة بغداد ، ص2.

الكَلِم أفراداً ومُجرّدة من معاني النّحو"، وقد قصد الجرجانيّ بجُملته هذه أنّ اللّفظة لا يكفي أن تَرِد لوحدها لتُعطي المعنى، إنّما وُجودها داخل تركيب ما هو ما يكسبها معنى"

علاقة علم الدلالة بفروع اللغة الأخرى :

علاقة عِلم الدّلالة بالعُلوم الأخرى، هو ارتباط عِلم الدّلالة مع مجموعة من العلوم المُختلفة، ومنها (علم الرِّموز) الذي يُعدّ عِلم الدّلالة جُزءاً منه، كما ارتبط علم (المنطق والفلسفة) ارتباطاً وثيقاً بعِلم الدّلالة أكثر من غيره من عُلوم المعرفة الأخرى، كذلك (عِلم النّفس)، فقد ارتبط بعِلم الدّلالة من خِلال بحث عُلمائهم في الطُّرق المُختلفة لإدراك البشر للكلمات مع تحديد دلالتها. ويجب الإشارة إلى أنّ عِلم الدّلالة لا ينفصلُ عن أيّ عِلم من عُلوم اللّغة، بل وتشترك معه في الجوانب الصّرفيّة، والنّحويّة، والصّوتيّة"([1]).

علاقة علم الدلالة باللسانيات:

ابتعد الدرس اللُّغَوِيُّ في القرن التاسِعَ عَشَرَ عنِ الدَّرْس المِعْيَاريّ الذي كان سائدًا في العصور الوُسْطى، وكان الطابع العامُّ للدرس اللُّغويِّ في هذا القرن هو طابعَ المُقارَنات اللُّغوية؛ لذا اهتمَّ اللُّغَوِيُّون في ذلك الوقت بالأصوات، وبالمُقارنات الصَّوْتية، ثم انتقلوا بعد ذلك إلى دراسة بناء الكلمة، وبناء الجملة، ويُعْزَى الفضل إلى "بريل" أنه أدخل علم الدَّلالَةِ – التاريخ – إلى الحَقْل اللُّغوي بعدَ أن كان قاصِرًا على دراسة علوم البلاغة. تَطَوَّرَ الدرسُ اللِّسانيُّ في القرن العشرين على أيدي "دي سوسير"؛ فقد نادى هذا الرجل بدراسة اللُّغة من مَنْظورين: "منظور سينكروني"، و"منظور دياكروني" (منظور وصفي، ومنظور تاريخي)، وأَدَّى ذلك إلى ظهور المنهج البنائِيِّ في الدرس اللغوي، وهو المنهج الذي راجَ بعد ذلك في أوربا وأمريكا، ونشأت مدارسُ لُغويةٌ هنا وهناك متأثرةً بآراء "دي سوسير"، واهتم "دي سوسير" بوضْعِ حجر الأساس لدراسة اللُّغة بمستوياتها المختلفة دراسة عِلْميَّةً، بما في ذلك الدَّلالة بالطَّبع، فقد درس العَلاَمَة، وأوضح أنها تتركب من الدالِّ والمدلول: والدالُّ: هو الصورة السمعية، والمدلول: هو التصور، وأشار إلى أن القِيمة التي تكتسبها العلامة اللغوية من خلال دراسة اللغة كنظام . وقد حَدث أَن اهتمَّ عدد من المدارس اللُّغوية بمسائل التركيب، وركزت على دراسته دراسةً شكليةً؛ أي: بعيدةً

[1] / وفاء محمد أحمد نصر (2002)، ابن جني وجهوده في علم الدلالة ، السودان: جامعة الخرطوم، ص3

عن المعنى، واهتم عددٌ آخَرُ من هذه المدارس بدراسة المعاجم، وركزت على الاقتران أو المُصاحبة ، ولكن لم يحدث رَبْطٌ بين النحو – والمقصود به التركيب هنا – والدَّلالة ، وظَلَّتِ الأُمُور هكذا إلى أن ظهر" تشومسكي"، ونادى بوجوب مَزْج التركيب بالمعنى، ومِن ثَمَّ وصف منهجه بالنحو التفسيريِّ، ولكنه بالرغم مِنْ إشارته تلك ، لم يترجم هذه الإشارة إلى دراسة تطبيقية ؛ ولكن الذي قدم مثل هذه الدراسة ،هو" كاتس"، و"فودور"، فقد رَكَّزَا على الاقتران المُعْجميّ ، أو المصاحبة المعجميَّة ، وأوضحا أنها السبيل لتفسير معنى الجملة، ومَزَجَا بذلك بين الدَّلالة والنحو؛ لأنهما أضافا مَنْهَجَهُما التفسيريَّ إلى قواعد "تشومسكي."

إنَّ هذه المُحَاوَلة دفعتْ باحثًا آخَرَ مُهِمًّا هو "فيلمور"؛ ليضع نموذجًا يَمزِج فيه بين المعنى والنحو، وجعل المعنى هو أساس بناء الجملة، وأنّ النحو ليس سوى وسيلة لتحويل بِنْيَة المعنى الأساسية إلى جملة سطحيَّة، وتطور هذا الاتجاه على أيدي "جروبر" و"جاكندوف"، وقد أدى هذا إلى ظهور النحو التوليديِّ، وتولى الريادة هنا "تشومسكي" فنشر نظرية العمل والربط GB 1981، وبناها على عدد من القوالب، وأوضح أنها تضم ثلاثة أبْنِيَة: البِنْيَة العميقة، والبِنْيَة س، والبِنْيَة السطحية .

تضم البِنْيَة العميقة قواعد الأساس والثيتا، وقواعد الأساس تهتم بالمقولات النحوية وتوزيعها، أما الثيتا: فتضم البنية الدَّلالية، التي تشمل المحمول والموضوع، أو الموضوعات الأساسية التي يتطلبها المحمول"[1].

أما البِنية س: فتضم قواعد الإسقاط الموسع والحالة .

وتضم البِنية السطحية البِنية المنطقية والبِنْيَة الصوتية.

إن هذه النظرية تعني أن "تشومسكي" اهتم بدَمْج العنصر الدَّلاليّ بالعنصر التركيبيّ، وجعلها على قَدَمِ المساواة، وبذلك حقق الدمج بين الدَّلالة والنحو. لقد تَطَوَّرَ علم الدَّلالة بعد ذلك وأصبح غير قاصر على الدَّلالةِ المُعْجَمِيَّةِ ؛ بل تعداه إلى دَلالة الجملة؛ كما رأينا سابقًا، ثم تخطى ذلك أيضًا وأصبح يشمل التداولية، وتهتم التداولية بالتغييرات التي تطرأ على بناء الجملة وتؤثر على معناها. ثم تطور هذا العلم أخيرًا، وأصبح يَشمل دَلالة النص بكامله، وأوضح كيف يُشْتَقُّ معنى النصِّ من معنى جملة[2].

[1] / صلاح الدين صالح حسنين ، الدلالة والنحو ، الألوكة ، 2008/1/16 م

[2] / المصدر السابق نفسه ، مشاهدة 2020/8/8م .

المبحث الثاني

الدلالة الصوتية وجرس الكلمات في اللغة العربية

جاء في معجم المعاني الجامع، معنى جرس: جَرْسُ الحرفِ: نَغْمتُه وهي رنة موسيقية، تقع في الأذن عند سماع عبارة، وهي ناجمة عن حسن اختيار الألفاظ، وتناسق رنتها الصوتية، ويقال: ألفاظ هذه القصيدة، ذات جرس قوي رنان، أي أن لها وقع على الأذن تستحسنه، ومكان في النفس، تعجب به.

دراسة الأصوات التي تتألف منها اللغة، ويتناول ذلك تشريح الجهاز الصوتي لدى الإنسان، ومعرفة إمكانات النطق المختلفة الكامنة فيه. ووصف أماكن النطق ومخارج الأصوات في هذا الجهاز، وتقسيم الأصوات الإنسانية إلى مجموعات، تظهر في كل مجموعة منها خصائص معينة، ودراسة المقاطع الصوتية، والنبر والتنغيم في الكلام، هو"علم الأصوات"[1].

الدلالة الصوتية:

يعرفها بعض المحدثين بأنها "تلك الدلالة المستمدة من طبيعة الأصوات، وهذا يعني أن بعض الأصوات يؤدي دوراً في الكلمة، وبعضها الآخر لا يؤدي أي دور. فإذا حدث إبدال أو إحلال صوت منها في كلمة بصوت آخر في كلمة أخرى – أدَّى ذلك إلى اختلاف دلالة كل منهما عن الأخرى، فلنأخذ مثالاً على ذلك كلمة "رفض" وإذا طلبنا معناها فسيكون الترك، فرفض الشيء: تركه هكذا يقول المعجم. فإذا قمنا بتغيير صوت من أصواتها؛ الضاد مثلاً بالهاء، وصارت الكلمة "رفه"، فإن هذا التغيير بالضرورة سيعقبه تغير في المعنى، وهذا ما يسميه "فيرث" بالوظيفة الصوتية الصغرى أو القاصرة، مقابل الوظائف الأخرى النحوية والصرفية والسياقية والمعجمية "[2].

وهي: "المعاني المستفادة من نطق ألفاظ معينة وقد عُنِي القدماء بهذا النوع من الدلالات، فقد أشار إليها الخليل؛ فقال: كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدًّا، فقالوا: صر، وتوهموا في صوت البازي تقطيعًا، فقالوا: صرصر"[3].

---

[1] / عزيزة عطية الله الشنبري ، اللغة والنحو والصرف ، 2018/10/16م .

[2] / صالح سعيد عبد القادر ، الدلالة الصوتية في اللغة العربية ، ص 48

[3] / الخصائص 1/44-55

واعتبار اللغة "نظاماً من العلامات، أو الرموز الصوتية" يقودنا إلى نقطة أخرى، لم يغفل عنها علماء العربية، ولم يهملها علماء اللغة المحدثون أيضاً تلك هي العلاقة بين "اللفظ" و "مدلوله" أو بين الرمز وما يرمز إليه. وما عبر عنه ابن جني من أن اللفظ يغني بذكره عن إحضار الشيء، فكلمة "شجرة" مثلاً، يقابلها حالة من الوعي والإدراك، عن طريقة سلسلة الأصوات التي تتكون منها الكلمة، فتنطبع في الذاكرة صورة الشجرة، والعكس إذا رأيت صورة الشجرة، فإنها تعطي في العقل الكلمة، وإن لم تنطق بها أعضاء النطق"[1].

إن بناء الكلمة العربية تدلنا على أن فيها: "عنصراً ثابتاً وآخر متغيراً، فأما الثابت هي مجموعة الصوامت التي تؤلف هيكل الكلمة، وأما المتغير، فهو مجموعة الحركات التي تحدد صيغتها، وتمنحها معناها، وبذلك تزداد في نظرنا قيمة الحركات، باعتبارها العامل الحاسم في خلق الكلمة العربية"[2].

وأصَّل عبقري اللغة ابن جني لهذه الدلالة ، فعقد بابًا في "تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني"، وبابًا في "إمساس الألفاظ أشباه المعاني"، وبابًا في "قوة اللفظ لقوة المعنى"، جمع فيها ابن جني أمثلة تُبين القيمة التعبيرية للحرف = (الصوت) الواحد في حال البساطة، وأيضًا في حال التركيب لقد رأى أن الحرف الواحد، يقع على صوت معين، ويوحي بالمعنى المناسب؛ سواء أكان هذا الحرف أولًا، أم وسطًا، أم آخرًا، وذلك في حال البساطة "، فمثال ما وقع فيه الحرف أول الكلمة:"العسف والأسف، والعين أخت الهمزة، كما أن الأسف يعسف النفس وينال منها، والهمزة أقوى من العين، كما أن أسف النفس أغلظ من التردد بالعسف، فقد ترى تصاقب اللفظين لتصاقب المعنيين

وصعد – سعد "، فجعلوا الصاد لأنها أقوى، لما فيه أثر مشاهد يرى، وهو الصعود في الجبل والحائط وجعلوا السين لضعفها لما لا يظهر، ولا يشاهد حساً ".

ومما وقع في وسط الكلمة: " قتر – قطر – قدر" فالتاء خافية مستفلة، والطاء سامية متصعدة، فاستعملتا لتعاديهما في الشيء وقطره، فالدال واسطة بينهما ليس لها صعود الطاء، ولا نزول وكقولهم قتر الشيء وقطره فعبر بها لجماعه. التاء.

[1] / انظر عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، ص65 .

[2] / عبد الصبور شاهين، البنية الصوتية ، ص 43

ومن قولهم: الوسيلة والوصيلة، والصاد أقوى صوتاً من السين لما فيها من استعلاء والوصيلة أقوى من الوسيلة، وذلك لأن التوسل ليس له عصمة الوصل والصلة، بل الصلة أصلها من اتصال الشيء بالشيء، ومماسته له، وكونه في أكثر الأحوال بعضاً له، كاتصال أعضاء الإنسان وهي أبعاضه ونحو ذلك. والتوسل معنى يضعف ويصغر أن يكون المتوسل جزءاً، أو كالجزء من المتوسل إليه، فجعلوا الصاد لقوتها للمعنى الأقوى، والسين لضعفها للمعنى الأضعف" ومنه قولهم قرت الدم، وقرد الشيء وتقرد، وقرط يقرط، فالتاء أخف الثلاثة، فاستعملوها في الدم إذا جف، لأنه قصد ومستخف في الحس عن القردد الذي هو النباك في الأرض، ونحوها، وجعلوا الطاء وهي أعلى الثلاثة صوتاً للقرط الذي يسمع"[1].

ومما وقع في آخر الكلمة: النضح والنضخ فالنضح للماء ونحوه، والنضخ أقوى قال تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ فجعلوا "الحاء" لرقتها، للماء الضعيف، و"الخاء" لغلظها، لما هو أقوى منه.

ومن أوضح الأمثلة على ما ذكره ابن جني، من ازدحام التاء والدال والطاء، والراء واللام والنون، إذا مازجتهن الفاء على التقديم والتأخير، فأكثر أحوالها، ومجموع معانيها، أنها للضعف والوهن ونحوهما، كالشيء التالف والشيخ الدالف "الضعيف" والدنف المريض، والفتور والضعف، والطَفل للرخص"[2].

ويطلق ابن جني على الدلالة الصوتية " الدلالة اللفظية " والتي عنده هي أقوى الدلالات، ذلك أن معرفتها تتوقف على الأصوات المكونة للكلمة. فـ "قام" مثلاً بوحداتها الصوتية، تدل على القيام؛ أي أننا وقفنا على الحدث من خلال لفظ الفعل. وهكذا كل فعل بأصواته يؤدي معنى الحدث، بمعنى أن كل واحد منهما، يدل على حدث مغاير للآخر، تبعاً لاختلاف لفظيهما أي أصواتهما، وكذلك "قطع وكسر"، فنفس اللفظ هنا يفيد معنى الحدث ".

"ومن مظاهر الدلالة الصوتية النبر " stress" وهو ما نسميه بالنغمة الكلامية "intonation"[3].

[1] / الخصائص، 1/ 550 -552

[2] / صبحي الصالح ، مرجع سابق ، ص 146

[3] / دلالة الألفاظ ، ص 47

فالدلالة الصوتية المطردة، هي المستفادة من الأصوات اللغوية حسب مخارجها وصفاتها، وغير المطردة هي المستفادة من نبر وتنغيم الكلام.

ولما كانت الأصوات اللغوية، تختلف في دلالتها الإيحائية، وذلك نظراً لاختلافها في المخرج والصفة، إذ ان بعضها مخرجه الحلق، وبعضها مخرجه الشفتان، ومنها مخرجه ما بين هذين المخرجين، كما إن منها ما هو شديد، ومنها ما هو رخو، ومنها ما هو بين الرخاوة والشدة؛ كل هذه الأمور جعلت من الأصوات، تستعمل حسب المواقف التي تقتضيها فقالوا: "قضم" وقالوا: "خضم" وكلا اللفظين يدلان على الأكل؛ غير أن الأول يدل على الأكل اليابس، والثاني على الأكل الرطب". كما أن هذه الألفاظ تتناوب عليها الحركات من إعرابية وبنيوية، فيؤدي هذا التناوب إلى الاختلاف، في معاني تلك الألفاظ، على نحو ما نلاحظه في الأفعال عندما نغير إسنادها من مبني للمعلوم، لمبني للمجهول فليس "ضَرَب" كـ "ضُرِب". فبالأول عرفنا الفاعل، أما الثاني؛ فإننا عرفنا فقط أن الضرب قد وقع، ولكن لا ندري من الذي قام به، وهذا التغيير في المعنى، تم على الرغم من وجود الأصوات ذاتها في الكلمتين"[1].

ويؤكد سيبويه وجود دلالة أخرى، هي دلالة الصيغ والأوزان من ذلك " المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني قولك: "النزوان النقزان"، وإنما هذه الأشياء في زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع، ومثله "العَسَلان والرَتَكان" بمعنى أن الاضطراب الواقع في الصيغة، وهو ورودها بصيغة " فَعَلان"، لم يرد اعتباطاً، إنما ورد مراعاة لطبيعة معنى الكلمة، والتي تعبر عن الحركة والاضطراب "وكل ما جاء عليها مثل: "الغليان والغثيان والنقزان " يعبر عن حركة أو عن اضطراب[2].

ويُعدُّ ابن جني إماماً للقائلين بوجود صلة، بين الألفاظ ومعانيها، فقد عقد في خصائصه خمسة فصول ناقش فيها كثير من الموضوعات ذات الصلة بهذا الجانب ففي فصل عنوانه "تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني" يرى أن الأصوات المتقاربة مخرجاً، غالباً ما تتقارب معانيها، من ذلك "ع ل م و ع ر م" في العلامة والعلم. وقالوا: "بيضة عرماء" و "قطيع أعرم" إذا كان فيهما سواد وبياض. ومن ذلك "سحل وصهل " فالصاد أخت السين،

[1] / الدلالة الصوتية ، ص 49

[2] / انظر سيبويه ، الكتاب ، 14/4 .

كما أن الحاء أخت الهاء. وقالوا: "جلف وجرم " فهذا للقشر، وهذا للقطع، وهما متقاربان معنى، ومتقاربان لفظاً لأن ذلك من " ج ل ف" وهذا من " ج ر م "[1].

وفي فصل عنوانه "إمساس الألفاظ أشباه المعاني" ينبه إلى أنواع أخرى من الدلالة الصوتية، وهي حكاية الأصوات الطبيعية، والصيغ الصرفية، وحكاية أصوات الهجاء. فمن ذلك إنك تجد المصادر الرباعية المضعفة، تأتي للتكرير نحو: "الزعزعة والقلقلة والصلصلة والقعقعة ويقول وجدت أيضاً "الفعلى" في المصادر والصفات، إنما يأتي للسرعة، نحو : "الجمزى والبشكى والولقى". ومن ذلك أنهم جعلوا " استفعل" في أكثر الأمر للطلب نحو: " استسقى واستطعم واستوهب واستمنح " . كما أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر عنها ، من ذلك قولهم قرت الدم ، وقرد الشيء وتقرد ، وقرط يقرط . فالتاء أخف الثلاثة فاستعملوها للدم إذا جف "[2].

والثعالبي في " فقه اللغة "، يتحدث عن المظهر الرئيسي من مظاهر الدلالة الصوتية وهي دلالة حكاية الأصوات المسموعة، فيقول: القهقهة : حكاية قول الضاحك: قه قه . والصهصهة حكاية قول الرجل للقوم : صه صه "[3].

وعند ابن فارس الإبدال مظهر من مظاهر الدلالة الصوتية، " فمن سنن العرب في كلامها إبدال الحروف، وإقامة بعضها مقام بعض، ويقولون: "مدحه ومدهه " و"فرس رفل ورفن" وهو كثير مشهور قد ألف فيه العلماء. فأما ما جاء في كتاب الله جل ثناؤه :﴿فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ فالراء واللام يتعاقبان كما تقول العرب: " فلق الصبح وفرقه" وذكر عن الخليل ولم أسمعه سماعاً، أنه قال في قوله جل ثناؤه : ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾، إنما أراد فحاسوا فقامت الجيم مقام الحاء ، وما أحسب الخليل قال هذا ولا أحقه عنه "[4].

" ولعل أوضح لغويي العرب بعد ابن جني وابن فارس ، الإمام جلال الدين السيوطي (ت 911) الذي استوعب كافة الآراء قبله فعقد في "مزهره" فصولاً وافية تحدث في كل واحد عن مظهر من مظاهر الدلالة الصوتية، وسنكتفي في هذا الموضع، بنقل فقرة من أحد

---

[1] / الخصائص ، 149/2 .

[2] / الخصائص ، 158/2 .

[3] / الثعالبي ، فقه اللغة ، ص202

[4] / أحمد بن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، ص209 .

فصوله قوله: "وأما أهل اللغة، فقد كادوا يطبقون على ثبوت المناسبة بين الألفاظ والمعاني وفي أثناء حديثه كان يشير إلى آراء اللغويين كابن جني، وابن السكيت، ثم يختم عرضه لهذه الآراء بملاحظة طريفة يقول فيها : " فانظر إلى بديع مناسبة الألفاظ إلى معانيه، وكيف فاوتت العرب في هذه الألفاظ المقترنة المتقاربة في المعنى". وهذا يعني أن السيوطي، من أكثر القائلين بالدلالة الصوتية، تأكيداً لها بمختلف مظاهرها "[1].

ومن علماء اللغة المحدثين، أحمد فارس الشدياق (ت 1888م) الذي ألف عدة كتب كان اهتمامه فيها، منصباً على العلاقة بين الأصوات ومدلولاتها، وما يتعلق بذلك من إبدال وقلب إلى غير ذلك من القضايا الدلالية، في كتاب سماه "سر الليال في القلب والإبدال" ومن اسمه يوحي بأنه مخصص لقضايا القلب والإبدال، غير أن ذلك لم يمنعه من الحديث عن مناسبة أصوات الهجاء لمعانيها في مقدمة الكتاب.

كما ذكر في مقدمة كتابه "الساق بالساق"، "إن كل حرف يختص بمعنى من المعاني دون غيره، وهو من أسرار اللغة العربية التي قلّ من تنبه لها، وقد وضعت لهذا كتاباً مخصوصاً، سميته "منتهى العجب في خصائص لغة العرب"[2].

أما صبحي الصالح، فإنه يقدم لموضوع الدلالة الصوتية، بأسلوب يستفاد منه، إنه من أكثر لغويي العربية تحمساً للموضوع، فقد خصص باباً في كتابه "دراسات في فقه اللغة" للحديث عن مناسبة أصوات اللغة لمعانيها "أما الذي نريد بيانه الآن، فهو ما لاحظه علماؤنا، من مناسبة حروف العربية لمعانيها، وما لمحوه في الحرف العربي، من القيمة التعبيرية الموحية، إذ لم يعنهم من كل حرف إنه صوت، وإنما عناهم من صوت هذا الحرف، أنه معبر عن غرض، وأن الكلمة العربية مركبة من هذه المادة الصوتية، التي يمكن حل أجزائها إلى مجموعة من الأحرف الدوال المعبرة. فكل حرف يستقل ببيان معنى خاص، ما دام يستقل بإحداث صوت معين. وكل حرف له ظل وإشعاع، إذ كان لكل حرف صدى وإيقاع"[3].

[1] / الدلالة الصوتية، سعيد مصطفى، ص 54

[2] / نفس المرجع ص 55

[3] / صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ص 142

المبحث الثالث

دلالة الأصوات في القرآن الكريم

لمحة تاريخية:

كان القرآن الكريم منطلقاً أساسياً، ومباشراً لثلاث مجموعات من الدراسات هي: الدراسات اللغوية، والبلاغية، والقرآنية. لذلك فقد ظهرت بوادر الدراسات الصوتية، ولعل أول من التفت إلى صلة الدرس الصوتي بالدراسات اللغوية والصرفية، هو الخليل بن أحمد الفراهيدي (175هـ) الذي بنى ترتيب الأصوات على أساس منطقي، انطلاقاً من معرفة خصائص الحروف وصفاتها. وخرج علينا بمعجم العين بشقيه: مقدمته ذات القيمة العلمية الكبيرة، وأصل مادته اللغوية. ليكون بحق صاحب هذا العلم ورائده الأول. كما أن علماء التجويد انطلقوا من الدرس الصوتي لتأصيل علم التجويد، فوضعوا عشرات المصطلحات الخاصة بالأداء الصوتي الدقيق للقرآن الكريم.

أما في العصر الحديث؛ فقد أفاد كثير من اللغويين العرب، مما توصل إليه الغرب في مجال علم الأصوات، أمثال: إبراهيم أنيس وتمام حسان، وكمال بشر وغيرهم. وقد تنبّه غير واحد من أهل العلم والدين والأدب ، بحسهم المرهف، وذوقهم السليم، إلى الارتباط الوثيق بين الصوت والدلالة، فتعرضوا في كتبهم إلى شذرات مما وقع منه في القرآن الكريم، كالرافعي، وبنت الشاطئ وسيد قطب وغيرهم"[1].

والقرآن مليء بدلالاته، التي تبين دائماً إعجازه، والتي توصل إلى الفهم الصحيح للقرآن الكريم، الذي يتناسب فهمه مع كل عصر من عصور العلم والتطور. ومن هذه الدلالات:

أولاً _ دلالة الحركة:

في القرآن الكريم نماذج كثيرة، اختيرت فيها الكلمات اختياراً دقيقاً، ليشاطر بناؤها الحركي، حالتها التعبيرية، وسواء أ كانت الحركة بنيوية أو إعرابية فإنها تؤدي إلى الحالة التعبيرية، فمن ناحية حركة البنية، ما ورد في القرآن من استعمال كلمة "الحياة" للحياة الدنيا، وكلمة "الحيوان" للحياة الآخرة في قوله تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ

[1] / ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، أبو الفداء (774هـ): تفسير ابن كثير، دار الفكر، بيروت، 1401هـ

الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ العنكبوت الآية (46).

ولأن الدنيا دار لهو ولعب وزوال عبر عنها بالحياة، ولأن الآخرة دار عز وكرامة وبقاء، عبر عنها بالحيوان، والعلة في استعمال كلمة "الحيوان" للآخرة، دون استعمال كلمة " الحياة"، التي أطلقها على الدار الدنيا، مع أن كل منها مصدر للفعل حيي – يحيا، هو أن كلمة "الحيوان"، صيغة مبالغة بالألف والنون، وفي بنائها زيادة معنى ليس في بناء "الحياة" وبناء "فعلان" يحمل معنى الحركة والاضطراب، والحياة حركة، كما أن الموت سكن، فمجيئه على معنى دال على الحركة ، مبالغة في معنى الحياة ، لذلك اختيرت " الحيوان" على "الحياة" في هذا الموضع لمقتضى المبالغة "[1].

ومن أمثلة النموذج الثاني "البنية الإعرابية"، قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ❖ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ❖ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ❖ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ سورة القمر (9–12)

دعا سيدنا نوح ربه فانفتحت أبواب السماء بماء غزير، وغدت الأرض كلها عيوناً متفجرة بالماء، فكلمة " فَفَتَحْنَا " تبدأ بثلاث فتحات متوالية، تنسجم تماماً مع فتح أبواب السماء، ويقوي هذا الإحساس بفعل الفتح، انتهاء الكلمة بفتحة رابعة مختومة بألف مد، يوحي بمقدار ذلك الفتح الذي وسع السماء كلها. ثم تختم الكلمة الأخيرة "السماءِ" بحرف مكسور، إيذاناً بنزول الماء منها، لتتوالى بعدها حركة الكسر في كلمتي "بماءٍ منهمرٍ" ولا يخفى ما بين حركة الكسر المتكرر، وبين نزول الماء من السماء إلى الأرض من تلاؤم وتناغم، من شأنه تحويل حاسة السمع في القارئ والسامع إلى حاسة إبصار خاصة، ما يوحي به تنوين الكسر في نهاية الكلمتين الأخيرتين من شدة الانهمار، وما يدل عليه حرف الراء في آخر كلمة "منهمر" من التكرار بسبب خاصيته التكريرية.

وفي قوله (وفجرنا الأرض عيوناً) عودة حركة الفتح من جديد، لتتناسب مع تفجر الماء من الأرض بحركة عكسية هذه المرة، وقد جاء المد بالألف في " فجرنا" و"عيونا"، ليوحي بتلك الحركة التصاعدية للماء".

[1] / الزمخشري ، الكشاف ، 463/3 .

ثانياً – دلالة الإيقاع:

لا يكاد يختلف اثنان على أصالة الإيقاع القرآني وتفرده؛ شكلاً، وتنوعاً، وحلاوة، وتأثيراً منذ زمان نزوله. وصولاً إلى عصرنا هذا، ولعلنا لا نجانب الحقيقة إذا قلنا: إن جمال نظم القرآن، الذي هو أس إعجازه، قائم على اصطناع الإيقاع، الذي يطبع بنية كل سورة من سوره، بطابع خاص. بل هذا الطابع الإيقاعي يتنوع، بصور وأشكال في السورة الواحدة

تبعاً للموضوع تارة، ولمقتضى الحال تارة أخرى"[1].

وهناك نوعين من الدلالة الإيقاعية:

- **إيقاع خارجي: ويعتمد على الجانب الصوتي المتولد من تناسق الحروف من حيث مخارجها وصفاتها، ومن أوزان الكلمات، والفواصل القرآنية، وضروب البديع، والتوازن بين الجمل والعبارات.**
- **إيقاع داخلي: وهي حركة منتظمة في السورة كلها، تميزها عن غيرها من السور، وهي حركة لا يتم إدراكها من خلال حاسة السمع. لأنها حركة غير صوتية، وإنما تُدرك من خلال فهم متكامل، لنمو الحركة الإيقاعية داخل البناء الكلي للسورة الواحدة"[2].**

الهمزة والهاء صوتان حنجريّان؛ تخرج الهمزة بعد انحباس الهواء في الحنجرة فانفجاره، فهي صوت شديد يخالف بهذا الهاء التي تخرج بحفيف الهواء في مضيق الحلق فويق الحنجرة؛ ولكنهما لتقاربهما ربما وقعا في السمع موقعًا متقاربًا، وهذا ما يفسر ورود ألفاظ بهما والمعنى واحد، مثل (ألا/ هلا) و(أيا/ هيا) و(أيهات/هيهات).

وما يستوحى من شدة اللفظ في إيقاع الخصومة والجدال، قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾ لتبرز "متشاكسون" وهي تعبر لغة عن المخاصمة والعناد والجدل في أخذ ورد لا يستقران، وقد تعطي معناها الكلمة: متخاصمون، ولكن المثل القرآني لم يستعملها حفاظاً على الدلالة الصوتية التي أعطت معنى النزاع المستمر، والجدل القائم، وقد جمعت في هذه الكلمة حروف التفشي والصفير في الشين والسين

---

[1] / ماجد النجار، مرجع سابق، ص 226 –227

[2] / محمد صغير ميسة، جماليات الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم، رسالة ماجستير مقدمة في جامعة محمد خيضر – بسكرة – كلية الآداب واللغات قسم الآداب واللغة العربية، ص 28

تعاقباً، تتخللهما الكاف من وسط الحلق ، والواو والنون للمد والترنم ، والتأثر بالحالة ، فأعطت هذه الحروف مجتمعة نغماً موسيقياً خاصاً حمّلها أكثر من معنى الخصومة والجدل والنقاش بما أكسبها أزيزاً في الأذن ، يبلغ به السامع أن الخصام ذو خصوصية بلغت درجة الفورة ، والعنف والفزع من جهة ، كما أحيط السمع بجرس مهموس معين ذي نبرات تؤثر في الحس والوجدان من جهة أخرى"[1].

ومن ذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ مريم (83) أي: تزعجهم وتُقلقهم، فهذا في معنى تهزهم هزًّا، والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين، وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة؛ لأنها أقوى من الهاء، وهذا أعظم في النفوس من الهز؛ لأنك قد تهز ما لا بال له؛ كالجذع وساق الشجرة، ونحو ذلك. وقال الزمخشري: "الأز والهز والاستفزاز أخوات، ومعناها التهييج وشدة الإزعاج"[2].

من ذلك لفظ "اللُّب" الذي هو العقل، لم يرد في القرآن إلاَّ مَجموعًا، لا مفردًا ولا مثنى، وهذا في مواضع كثيرة، كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ البقرة"269"

العلة في هذا أنَّ لفظَ "لب" مركب من حرف "تغليظ" وحرف "قلقلة"، والعرب تحبذ الخفة وسلاسة اللفظ، فإن ثُني "لُبَّان"، لم يَفِ بالغرض، لكن "ألباب" تُعطي سلاسةً للفظ، فالهمزة خفيفة ومن أوائل المخارج، والباء خَفَّف من قلقلتها المدُّ، فأَخَفُّ تهجية للَفظ "لب" أن يكون مجموعاً.

وهناك ألفاظٌ يعدل عن استعمالها، ولا يستوفي في ذلك إلاَّ الذوق السليم، وهذا موضع عجيب، ولا يعلم كنه سره إلاَّ الفطاحلة وأهل التحقيق[3].

فالقرآن الكريم استحدث للكثير من الألفاظ، دلالة إسلامية، لم يكن للعربية عهدٌ بها قبل الإسلام. من ذلك لفظ الوحي، الذي يغلب استعماله في الإلهام، ملحوظاً فيه أصل دلالته على السرعة والخفاء، ويأخذ في القرآن دلالة إسلامية مما يوحي به الله تعالى.، إلى رسله الأنبياء. فإذا تعلق بغير الأنبياء، فهو الإلهام. ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ القصص (7).

---

[1] / محمد حسين الصغير، الصوت اللغوي في القرآن، ص167

[2] / الزمخشري، الكشاف، ج3

[3] / انظر مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، ص171

﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ النحل (68).

إنّ دراسة الدلالة الصوتية في القرآن الكريم، لا يمكن أن تدرك من الجانب الصوتي فقط، بل يجب مراعاة الغرض الديني، الذي يهدف إليه القرآن الكريم، ليحدث بذلك التمكين والتأثير والاستجابة والإذعان. لذلك وجب أن نشير إلى ان الخطاب القرآني، لا يفهم من خلال أحد مستويات التحليل اللغوي كالتحليل الصوتي أو الصرفي أو التركيبي أو الدلالي، بل يفهم من خلال تطبيق كل هذه المستويات مجتمعة.

الخاتمـــة

الحمد لله الذي بنعمته تم الصالحات، وله الشكر والمنة على التمام والثبات. وأصلي وأسلم على خاتم الرسالات، محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً وصلاة كثيرات. فقد توصلت من خلال هذه الدراسة إلى نتائج، وأقدم معها التوصيات.

أولاً- النتائج:

- الدلالة الصوتية موجودة في كلام العرب منذ القدم، وإن كانت بتسميات أخرى.
- القرآن الكريم كله دلالات صوتية، قصد الحق جلّ شأنه منها التنبيه والتخويف والتشويق.
- هناك كلمات من القرائن توحي بأكثر من معنى، ولها أكثر من دلالة؛ فالمفسر يراها من منظور، واللغوي يراها من منظور آخر.
- سياق المعنى بلفظ معين، يكسبه تذوق يختلف عن سياقه بلفظ آخر.
- اهتمام الدراسات الأسلوبية الحديثة، بالدلالة الصوتية، لإبراز ما لها من أثر في تشكيل الصورة الفنية، والتي تعين على تقريب المعاني.

ثانيا- التوصيات:

- الحاجة أصبحت ماسة الآن، إلى استثمار الدراسات القديمة والحديثة، في تطوير البحث الجمالي، والدلالات الفنية في أصوات القرآن الكريم.
- الإفادة من الدراسات الأسلوبية الحديثة، والدرس اللغوي المعاصر في تفسير القرآن الكريم، والوصول إلى معجزاته التي لا تنتهي.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1/ أنيس إبراهيم، (1976م)، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو، القاهرة – مصر.

2/ إبراهيم الشمسان (11/30/ 2013م)، موقع الجزيرة، مداخلات لغوية، زيارة 2018/5/16م.

3/ ابن الأثير (1962م)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق أحمد الحوفي، دار النهضة ط2، القاهرة –مصر.

4/ ابن جني (د:ت)، الخصائص، محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، ط2، بيروت – لبنان.

5/ ابن منظور (2008م)، لسان العرب، دار صادر ط1، بيروت – لبنان.

6/ أحمد بن فارس (2007م)، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

7/ أحمد مختار عمر (1998)، علم الدلالة، دار الكتب، القاهرة – مصر.

8/ بليغ حمدي إسماعيل(2017م)، القرائن اللفظية في القرآن الكريم، الشبكة العنكبوتية، زيارة 23 مارس 2018م.

9/ الثعالبي (2002م)، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق عبد الرازق المهدي، دار إحياء التراث العربي، ط1، القاهرة – مصر.

10/ حسنية عزاز (2017م)، العلاقة بين الصوت والدلالة من منظور علماء اللغة العرب المحدثين، مجلة تاريخ العلوم، ج2، العدد الثامن، حلب – سوريا.

11/ دي سوسير (1986م)، دروس في الألسنية، ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، المرادية – الجزائر..

12/ الزمخشري (1953م)، أساس البلاغة، تحقيق عبد الرحيم محمد، مطبعة أورفائد، القاهرة – مصر.

13/ الزمخشري (د:ت)، الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان.

14/ سيد العربي يوسف (2016م)، الدلالة وعلم الدلالة -المفهوم والمجال والأنواع كتاب الألوكة، زيارة يوم 4/28 /2018م.

15/ سيد مصطفى أبو غالب (2016م)، الدلالة اللغوية، الألوكة، زيارة 19 /2/2019م .

16/ سيبويه (2006م)، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هرون، الدار المصرية للكتب، القاهرة – مصر.

17/ صالح سعيد عبد القادر(2011م)، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية – مصر.

18/ صبحي الصالح (2009م)، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان.

19/ عبد الحميد حمزة عبيد (1442هـ)، أنواع الدلالة وطرق استعمالها في كتاب مفاهيم القرآن للسبحاني، جامعة بغداد - العراق.

20/ عبد الراجحي (د،ت)، فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، القاهرة – مصر.

21/ عبد الصبور شاهين (1980م)، المنهج الصوتي للبنية العربية – رؤية جديدة في الصرف العربي، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان.

22/ عبد القاهر الجرجاني (2001م)، دلائل الإعجاز، تحقيق محمد هنداوي، دار الكتب العلمية ط1، بيروت – لبنان.

23/ عزيزة عطية الله الشنبري (2018م)، اللغة والنحو والصرف، ويكيبيديا، زيارة في 1/ مارس 2020م.

24/ الفيروز أبادي (2005م)، القاموس المحيط، ج 3، تحقيق مكتب التراث بمؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.

25/ ماجد النجار (2006م)، من ملامح الدلالة الصوتية في القرآن، مجلة آل البيت العدد الرابع، المفرق – الأردن.

26/ مصطفى صادق الرافعي (2005م)، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان.

27/ محمد حسين علي الصغير (1420هـ)، نظرية النقد العربي – رؤية قرآنية معاصرة، دار المؤرخ العربي، بيروت – لبنان.

28/ محمد صغير ميسة (2011م)، جماليات الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم، بسكرة – الجزائر.

29/ نادية معتاقي (2018)، إسهام العرب المحدثين في إرساء أسس علم الدلالة، تيزي وزو – الجزائر.

30/ هدى دار عيسى (2021م)، علم الدلالة في اللغة العربية، موقع موضوع، آخر زيارة 2022/3/8م.

31/ وفاء محمد أحمد نصر (2002م)، ابن جني وجهوده في علم الدلالة، رسالة ماجستير مقدمة في جامعة الخرطوم، الخرطوم – السودان.